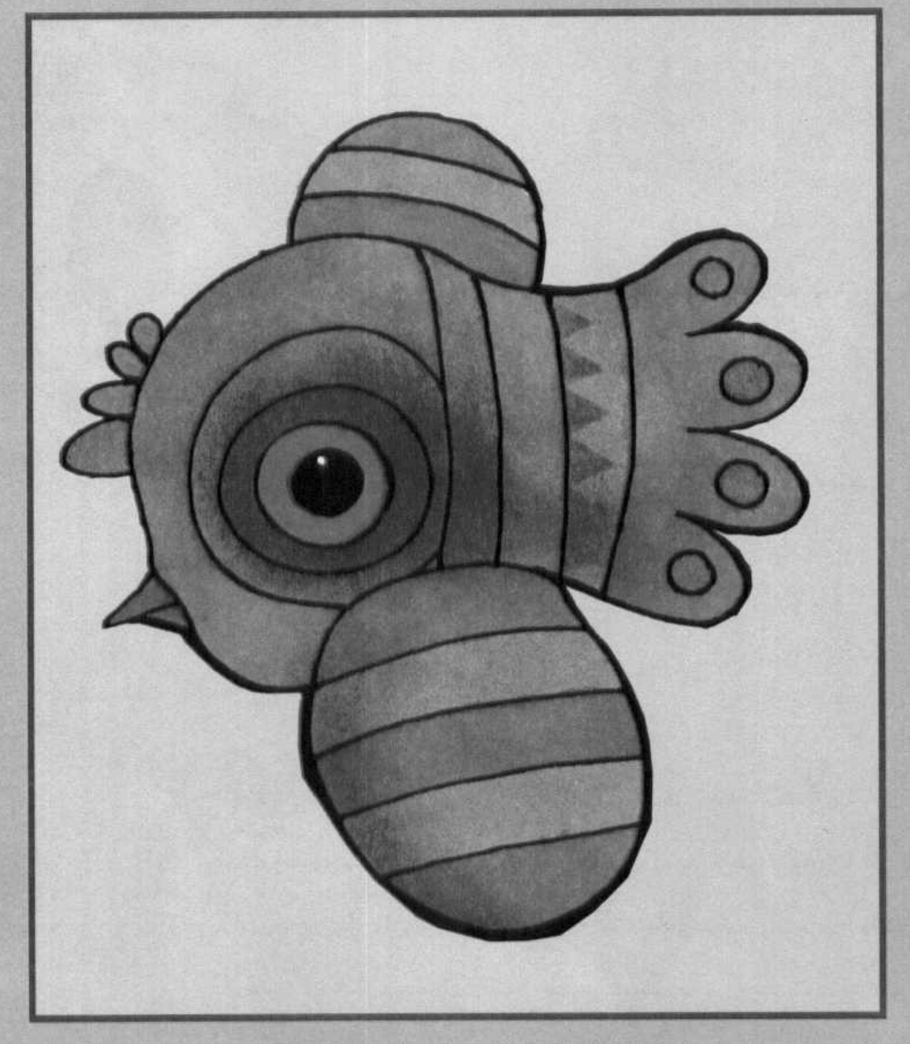
العصفور الأخضر الترجمان



تأليف : أحمد الشيخ

رسوم : عبد العال



العصفور الأخضر الترجمان

يحب الأطفال في كل أركان الدنيا سماع زقزقة العصافير، ويحبون أكثر رؤيتها وهى تطير فى الفضاء، ترفرف بأجنحتها الصغيرة وهى فرحانة بالحياة والحرية. لا تمنعها الحدود ولا توقفها الأنهار التى تجرى ولا الجبال العالية التى يصعب على الإنسان صعودها، وحكايتنا هذه المرة عن عصفور أخضر عجيب ليس مثله عصفور آخر.

سوف أبدأ حكايتى عنه من بدايتها، وبداية الحكاية كانت فى ذلك الصباح المشرق الذى يختلف عن كل الصباحات السابقة. كان العصفور يطير بسرعة مثله مثل كل عصافير الدنيا، لكنه وهو طائر فى الفضاء كان يبدو لكل من يراه وكأنه يرقص للحياة والبشر والنباتات والحيوانات وكل الأشياء، وكان ريشه الأخضر يضحك للشمس ويشكرها لأنها أشرقت فى موعدها ولم تتأخر لحظة، وبعينيه الصغيرتين رأى نافذة مفتوحة، نافذة



ملونة بالأخضر والأصفر والأبيض ، واتجه العصفور ناحية النافذة الملونة ووقف على سورها ، وبمنقاره الملون جعل ينقر بلطف وكأنه ضيف يستأذن فى البقاء ، وأى عصفور مهذب يفعل ذلك لعدة أسباب تذكر منها أنه يرغب فى أن يطمئن ويشعر بالأمان ، وأنه من اللائق أن يعلن عن وجوده فى المكان وحتى لا يوصف بأنه ناقص الأدب ، بسبب أنه يتلصص بنظراته على أصحاب الدار ، وهناك بالطبع أسباب أخرى قد نتحدث عنها فى مناسبات أخرى ، لكننا على الأقل نعرف الآن أنه عصفور مهذب ويعرف الأصول .

كانت النافذة تخفى رجلاً حكيماً بريد أن يعرف كل شىء عن الطيور ، وكان أصدقاؤه وتلاميذه جميعاً ينادونه باللقب الذى اشتهر به بسبب كثرة ما يعرفه عن كل أنواع الطيور ، "الأستاذ" ، والأستاذ بالطبع كما تعرفون ونعرف العصافير المهذبة ليس إسماً لإنسان ، الأستاذ لقب وصفة ومعنى كبير يستحقه كل من بذل فى الحياة جهداً يستحق التقدير ، وقد بذل الأستاذ والحق يقال جهوداً كبيرة ، قرأ وبحث وسافر ورأى وتعلم وعلم فاستحق أن يحصل على صفة الأستاذ ، شىء وحيد كان قد تبقى ليشعر الأستاذ بأنه سعيد إلى أبعد حدود السعادة ، وقد يسألنى أحدكم - وعنده حق - عن هذا الشىء الذى تبقى ، فأقول أن الأستاذ كان يتمنى أن يعرف شيئاً عن العصفور الأخضر الترجمان الذى قرأ عنه كثيرا ، وسمع عنه كثيراً ، وتحدث عنه كثيرا بحماس :



- هناك فى هذه الدنيا عـصفور أخـضر ترجمـان ، والعصفور الأخـضر الترجمـان لا يختلف كثيرا عن تلك العـصافير الملونة بالأخـضر بكل درجاته إلا فى شىء وحيد ، ذلك أنه ترجمان ، يعرف الكثير من اللغات ويفهمها ، بل إنه يستطيـع أن يترجم أصوات الطيـور الأخرى وبعض الحـيوانات ، لكن أبرع شىء هو أنه قادر على فهم لغات البشر أو على الأقل أكثرها شهرة .

بذلك كان الأستاذ يتحدث الى أصحـابه الكثار وتلاميذه الأكثر ، وكانوا يصدقونه بالطبع ، لكنهم أيضا كان يسألونه نفس السؤال :

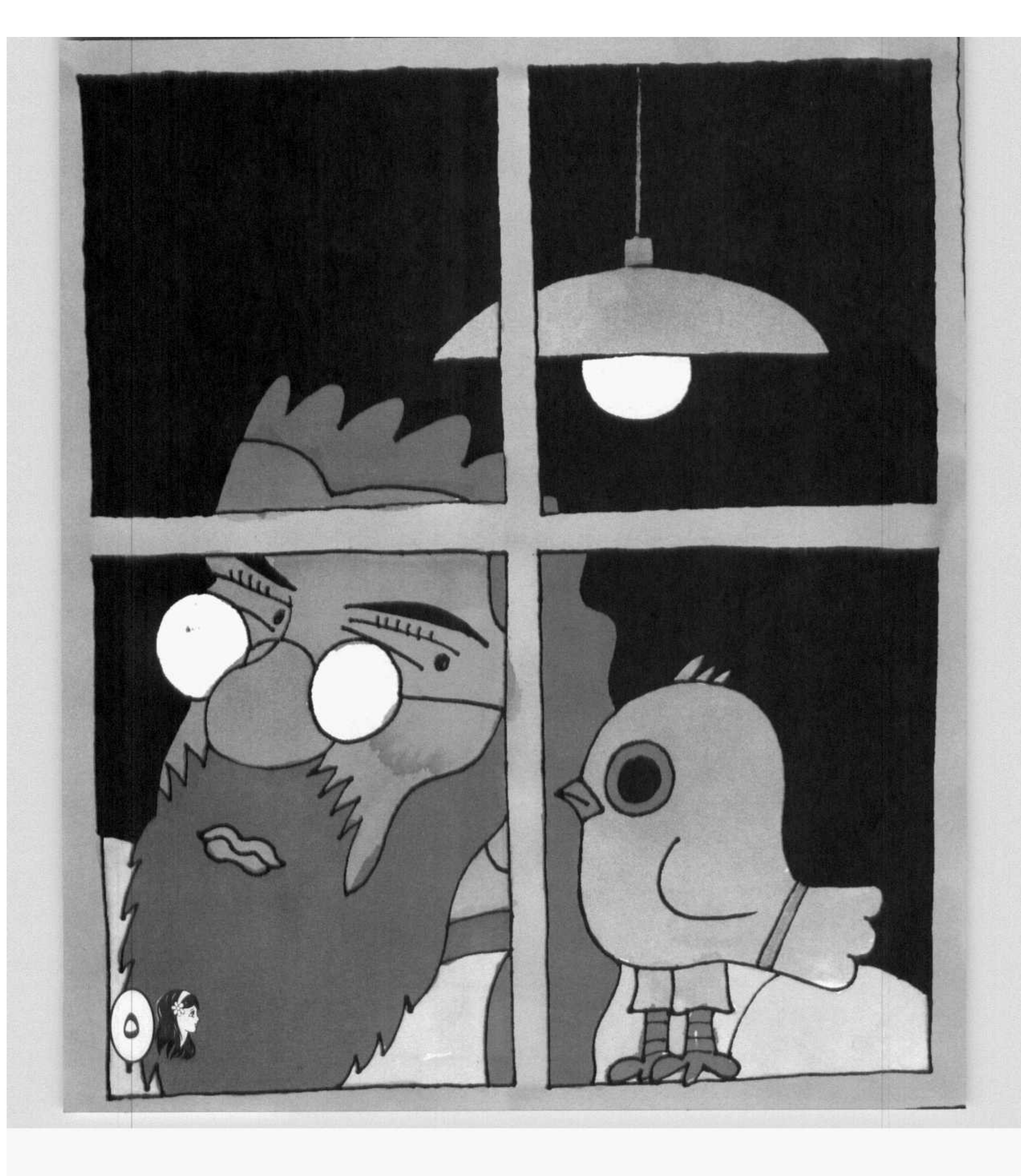
- لكن أين يا أستاذ يعيش ذلك العصفـور الأخضر الترجمان ، وفى كل مـرة كـان الأسـتـاذ يشـعـر بشىء من الحـزن ، يسكـت زمناً ، ولا يكف عن التفكيـر ، وأصعب شىء فى الدنيـا أن تكون عند الإنسان فكرة صـادقة وهو عاجز فى نفس الوقت عن تقديم الدليل على صـدقها ، وكم فى هذه الدنيا من أسـاتذة فى كل أنواع الـعلم والفن يملكون مـثل هذه الأفـكار ، لكنهم وللأسف الشديد يعجـزون عن تقديم الدليل على صدقهـا ، أعرف واحدا من هؤلاء الأساتذة فى فن الرسم ، وقد قال لى مرة :

- أشعـر أننى متـهم بدون ذنب ، وأشعـر فى نفس الوقت بالعـجز عن تقـديم الدليل على براءتى ، لكننـى سوف أحـاول من جـديد ولن أتوقف عن المحاولة .



وبالطبع ليست هناك أي علاقة بيـن أستاذ الرسم الذى حدثتكم عنه





الآن ، والأستاذ الذى ظل لسنوات وسنوات يبحث عن ذلك العصفور الأخضر الترجمان ، وكما حدثتكم قبلاً ظل الرجل يقرأ ويسافر ويبحث ويسمع ويتكلم بحماس عن ذلك العصفور دون أن يتمكن فى واقع الأمر من تقديم الدليل على وجوده ، ولابد أنكم تشعرون ناحية الرجل بشىء من الاشفاق والاحترام فى نفس الوقت ، ولابد أنكم ترغبون من أعماق قلوبكم فى أن يتحقق للرجل حلمه ، وأن يعثر على عصفوره الغريب النادر ، فليست كل العصافير الخضراء التى نراها تتشابه فى كل الصفات .

لقد حدثتكم عن الرجل الأستاذ بما يكفى ، ولقد كان من اللازم أن أحدثكم عنه ، وسوف أحدثكم عنه فى مرات أخرى إذا شئتم ، لكننا لا نريد الآن أن نترك العصفور الأخضر واقفاً على طرف النافذة ينتظر من الأستاذ السماح له بالدخول أو الاستمرار فى الوقوف ، لقد كان العصفور هناك ما يزال ، وكان الأستاذ يقلب فى أوراقه ويفكر ، ربما تكون نظراته قد اتجهت نحو العصفور الأخضر الواقف فى طرف النافذة الملونة بالأخضر والأصفر والأبيض ، وربما بسبب ذلك لم ينتبه لوجوده ، وبسبب ذلك أيضاً تكلم العصفور بصوت خافت مهذب :



- أيها الأستاذ ، هل تسمح لى بالبقاء حيث أقف لأستريح من التعب؟

لكن الأستاذ لم يسمع فى أول مرة ، ولا فى المرة الثانية ، وفكر

العصفور المهذب أنه لن يكون من الخطأ الشديد أن يرفع صوته أكثر ، وفى حدود الأدب ، فقال بصوت خجول :

- أيها الأستاذ صاحب المكان ، إننى أناديك وأطلب منك السماح لى بالوقوف زمناً على طرف نافذتك لأستريح .

نظر الأستاذ ناحية الصوت ، إقترب من العصفور الأخضر برفق . ورد غير مصدق أن الطائر الواقف على مقربة منه كان يتحدث إليه :

- ماذا تقول ؟ .. هل أنت ؟ أنت الذى كنت تتكلم ؟

وأجاب العصفور وكان قد اطمأن تماماً إلى الرجل :

- نعم يا سيدى .. لقد طرت سبعة أيام بلياليها دون أن أرتاح ، وأرجو أن تسامحنى لأننى وقفت على طرف نافذتك الملونة ...

فرح الأستاذ وكاد يطير من الفرح مثل أى عصفور أخضر ، وسأل العصفور :

- ولكن قل لى أولاً .. من أين جئت أيها العصفور المهذب ؟ .

- من بلاد الصين .

بذلك أجاب العصفور ، ورقص قلب الأستاذ فى صدره ، وربما شعر العصفور بذلك ، فأضاف :

- وأنا أعرف الكثير عن اللغة التى يتحدث بها الناس هناك .

وتنهد الأستاذ كأنه عثر على كنز بطول الدنيا وعرضها . ولولا أن



الأستاذ كان يتميز بالوقار الشديد لرقص فى مكانه مثلما فعل قلبه الذى يسكن صدره . لكن الوقار أفاده على كل حال . ذلك أن الطائر كان هناك على بعد خطوة ولو شعر بأية حركة غير طبيعة فربما يطير . ولذلك سأل الأستاذ وهو فى نفس المكان عصفورنا الأخضر :

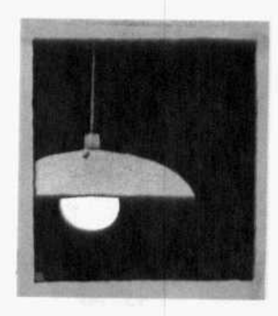
- اذن فأنت العصفور الأخضر الترجمان .

- نعم يا سيدى . لكننى حزين . وسوف لا ينتهى حزنى إلاَّ بعد أن أعثر على العصفورة الخضراء الترجمانة . هى الوحيدة الباقية لى من أسرتى العريقة . لقد تاهت منى فى بلاد الصين .

شعر الأستاذ بالألم من أجل العصفور الأخضر الترجمان . وشعر أنه من غير اللائق أن يطلب منه البقاء رغم حاجته الشديدة إلى بقائه زمناً قصيراً . لكن خجل العلماء والفنانين العظام استولى عليه فهز رأسه وأجاب :

- يمكنك أن ترتاح بحسب ما تريد . وإذا شئت الرحيل فى أى وقت فأنت الذى تختار...

- أشكر لك رفقك أيها الأستاذ .



بذلك أجاب العصفور الأخضر الترجمان . أجاب فى أدب وحرّك جناحيه وطار . هل طار أمل الأستاذ فى أن يقدم الدليل فى نفس اللحظة ؟ أم أنه تجدد وزاد ؟ وهل أخطأ لأنه لم يطلب من العصفور حتى أن يعود مرة أخرى ؟



أم أنه فعل ما كان من الواجب عليه أن يفعل ، أسئلة كثيرة مثل هذه الأسئلة فكر فيها الأستاذ ، لكن العصفور الأخضر الترجمان طار إلى البعيد البعيد ، ثم اختفى فى شعاع الشمس الساطع ، وبقى الأستاذ فى مكانه ينظر الى هناك حيث اختفى ، وبعدها جلس إلى جوار النافذة الملونة ، وقد رآه الكثير من أصدقائه وتلاميذه يجلس هكذا إلى جوار النافذة أوقاتاً أطول من كل المرات السابقة ، وكان الأستاذ قد تأكد أن العصفور الأخضر الترجمان هناك ، وأنه سوف يرجع إليه ، وأنه ما دام يبحث دون يأس عن العصفورة الخضراء الترجمانة فسوف يعثر عليها أو تعثر هى عليه ، وأنت أيها الصديق أيضاً ، لابد أنك تشاركه الرغبة فى عودة العصفور والعصفورة ولابد أنه فى صباح آخر يختلف عن كل الصباحات الأخرى ، سوف يرجعان إلى الأستاذ ، وسوف يرقص فى صدره القلب الرقيق ويشعر بدفء الشمس .



العصفورة الخضراء الترجمانة

حدثتكم مرة عن عصفور أخضر ترجمان ، وحدثتكم عن أستاذ عالم^^ يحاول أن يعرف كل شىء عن بعض الطيور ، ولابد أن الأستاذ الذى رأى بعينى رأسه العصفور الأخضر كان يعيش أهم أيام حياته ، ذلك أنه تأكد من وجود العصفور الذى قرأ عنه كثيراً والذى كان يسكن قلبه أو ذلك القلق من غياب العصفورأكثر ، مهما حدثتكم عن ذلك فسوف أعجز عن الوصف ، وهؤلاء العلماء الأساتذة نوع آخر من البشر ، يبحثون عن أشياء لا ينشغل بها غيرهم ، لكنهم فى نفس الوقت يعرفون أهمية تلك الأشياء وإن كانت تبدو بسيطة ، بسيطة مثل عصفور أخضر أو عصفورة خضراء ،فمن منا يستطيع أن يبحث عن طائر صغير وسط هذه الدنيا الكبيرة ، وليته يبحث عن طائر له موطن أصلى مثل كل طيور الدنيا ، ذلك أن لكل طائر فى هذه الدنيا موطن أصلى ، وقد ينتشر الطائر فى الكثير من الأماكن بعيداً عن

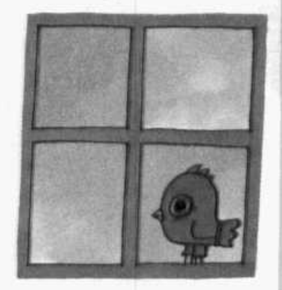


موطنه الأصلى ، لكنه فى نهاية الأمر يعرف أن له فى الأصل موطناً أصلياً ، وأنا لا أعرف الموطن الأصلى للحمام والبط والدجاج والأوز والنسور واليمّام والهدهد والصقور ، أو تلك الطيور الأخرى التى تعيش فى المناطق الشمالية من الكرة الأرضية ، وأى واحد فى الدنيا ليس مسئولاً عن معرفة الموطن الأصلى لكل طائر أو حيوان على وجه الأرض ، ولأن لكل واحد فى هذه الدنيا شغلة تخصه ، فقد اختار علماء الطيور تلك المهمة ، وتركوا لعلماء الأحياء المائية مسئولية أن يعرفوا كل أنواع الأسماك ، التى نعرفها والتى لا نعرفها ، الحيتان والدرافيل وأسماك القرش وسرطانات البحار ، ولعلماء النباتات معرفة الأنواع الكثيرة جداً من النباتات التى تنمو فى المناطق الصحراوية والاستوائية والباردة والمعتدلة ، أشياء وأشياء كثيرة فى هذه الدنيا يعرفها العلماء الكبار ولا نعرفها ، وليس فى ذلك أى عيب ، فأنت تستطيع مثلاً إذا بذلت جهداً فى القراءة والبحث أن تكون عالماً عظيماً ، وأن تعرف ما لا نعرفه فى العلم الذى تختاره ، لكن مسألة الموطن الأصلى للعصفور الأخضر الترجمان والتى يعرفها الأستاذ عالم الطيور تقول إن العصفور الأخضر الترجمان ليست له فى حقيقة الأمر منطقة محددة يمكن أن تكون موطنه الأصلى ، ربما لأنه عصفور وترجمان ويظن أنه يملك كل الدنيا دون تفرقه ، يمكنك أن تقول إن الدنيا كلها هى

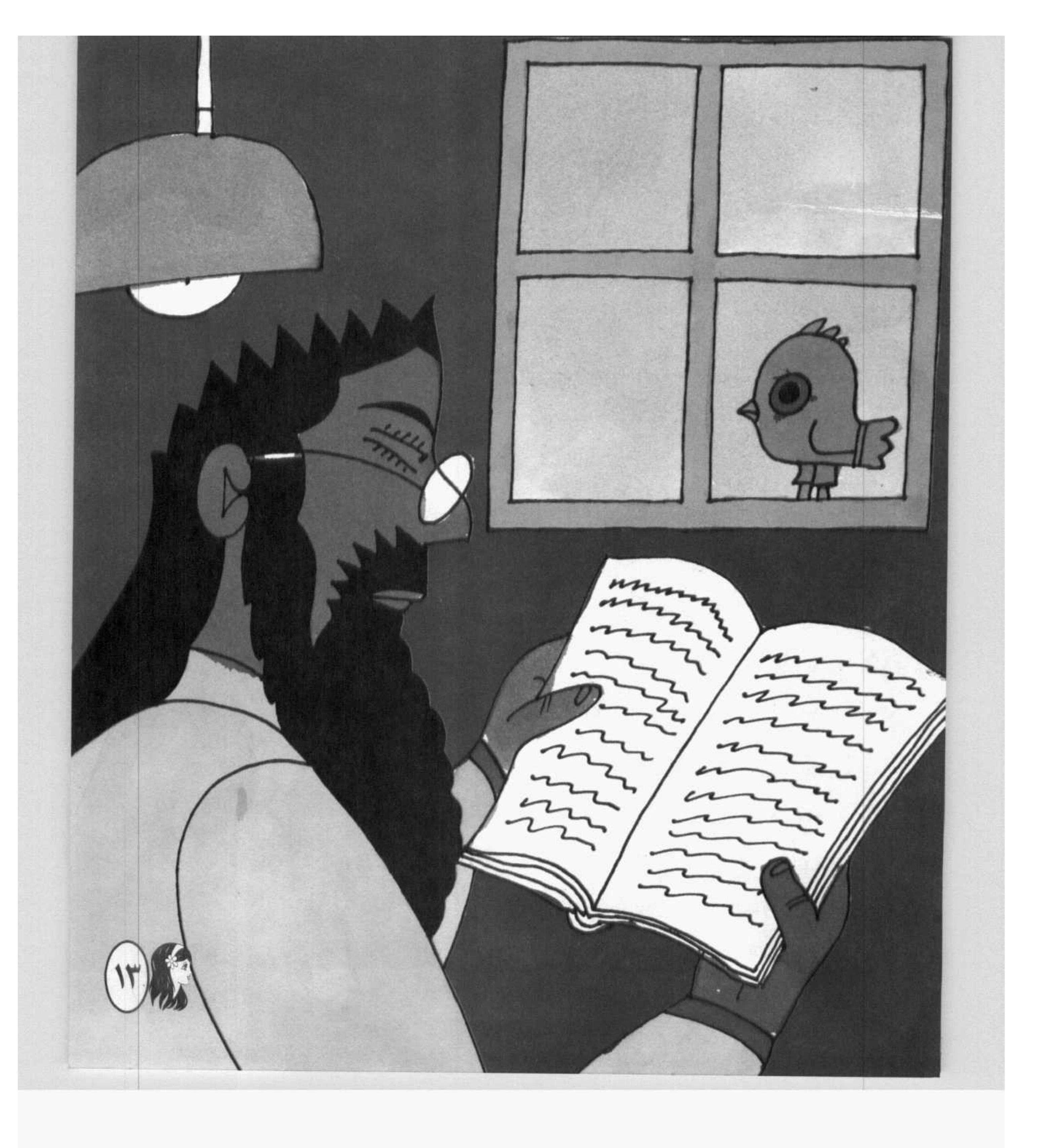


موطنه الأصلى ، والموطن الأصلى شىء شبيه بالوطن بالنسبة للإنسان ، فهو ينتمى لوطن معين ، حتى إذا تركه وعاش فى وطن آخر ، فهو فى نهاية الأمر لا ينسى وطنه الأول أو موطنه الأصلى ، وربما بسبب ذلك يتحدث الإنسان عن حب الوطن ، أى وطن .

نعود إلى الأستاذ العالم الذى بحث طويلاً عن عصفور أخضر ترجمان ، وقد رآه بعينى رأسه مرة ، وسمع كلامه بنفسه ، لكن العصفور الأخضر طار ، طار فى نفس الوقت ليبحث عن العصفورة الخضراء الترجمانة ، الوحيدة التى بقيت من سلالة العصافير الخضراء الترجمانة التى تعرف الكثير من اللغات ، ولا شك أن اكتشاف الأستاذ العالم لوجود مثل هذا الطائر النادر يعتبر شيئاً شديد الأهمية لكل علماء الطيور فى كل بلاد الدنيا ، ولذلك قلنا إنه كان يعيش فى تلك الأيام أهم أيام عمره ، ولابد أنه كان ينتظر ، ولابد أن نقول أن الوقت كان يمر ببطء شديد ، بسبب أن الأستاذ لم يتحدث مع العصفور عن موعد لعودته ، ليقف على طرف النافذة الملونة بالأخضر والأصفر والأبيض ، لكنه حدث أن كان الأستاذ يقرأ فى أحد الكتب الكبيرة عن كيفية أن تلك العصافير تستطيع الكلام وترجمة اللغات التى تسمعها دون تعب ، وكان يسأل نفسه عن العلاقة بين



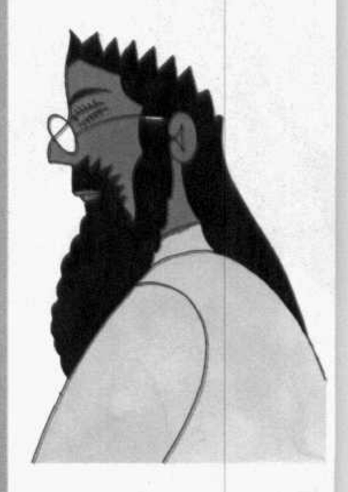




تلك العصافير وسلالة الببغاء الذى يقلد الأصوات فقط دون أن يفهم معانى الكلمات التى يقولها . وقد جاوب الأستاذ نفسه قائلا : « إنه لا علاقة بين تلك العصافير وأى ببغاء ذكى يجيد تكرار الكلام » وفكر أنه لو جاء العصفور وتحدث إليه فانه سوف يطلب منه البقاء فى مكانه كى يلتقط له بعض الصور ، وربما يسجل صوته على شريط فى جهاز التسجيل الذى يملكه ، ولو كان الأستاذ العالم قد نظر فى اتجاه النافذة لرأى أن الطائر الذى يبحث عنه موجود بالقرب منه ، لكنه لم ينظر أو يسمع صوته الذى ينادى :

- أيها الأستاذ العالم ، أننى أتحدث إليك الآن ، لقد أرسلنى شقيقى العصفور الأخضر الترجمان .. أيها الأستاذ العالم الذى يقرأ كل هذه الكتب ولا يشعر بالتعب ، هل تسمعنى ؟

لكن الرجل كان يقرأ بصوت ، ويتحدث إلى نفسه أحياناً ، وأنت تعرف أن الإنسان عندما يتحدث بصوت فإنه يكون من الصعب عليه أن يسمع كلام الآخرين ، ولابد أن نضيف إلى ذلك أن صوت العصفورة الخضراء الترجمانة كان خافتاً إلى درجة كبيرة ، ولذلك فإنها عندما تحدثت إليه مرة أخرى فانه لم يسمع ما كانت تقوله :





- أيها الأستاذ المحترم ، من غير المناسب أن تتكلم بصوت مسموع مع نفسك . إن الأذكياء يفعلون أشياء غريبة فى هذه الدنيا ، لكنه لا يليق بهم التحدث إلى أنفسهم بصوت مرتفع كما تفعل الآن ، بقيت دقيقة واحدة وبعدها سوف أطير ، لقد وعدت شقيقى بالرجوع قبل أن تدق الساعة خمس دقات .

كانت الساعة تشير إلى تمام الرابعة ، ولابد أن عصفورة خضراء ترجمانة تعرف الساعة جيداً ، لكنها كانت تعرف أيضاً أن المسافة بين نافذة العالم وعشها الذى بنته على فرع شجرة سرو عالية تستغرق ما يزيد على ثلاثة أرباع الساعة من الطيران المتواصل ، كان العصفور الأخضر هناك وقد أصيب فى ساقه ويحتاج إلى العلاج والرعاية ، ولأنه وحيد مثلها فإنه من الواجب أن تعود اليه ، وقبل أن تفكر العصفورة فى الطيران نظر العالم ناحية النافذة ورأى ذيل العصفور ، وقام بسرعة واتجه الى النافذة ، كاد أن يتعثر فى طرف السجادة وصرخ بالفرح :

- إذن فقد عدت أيها العصفور الأخضر الترجمان ، هل وجدتها ، كان الأستاذ يسأل عن العصفورة الخضراء الترجمانة ، تلك التى شعرت بالسعادة لأن العصفور الأخضر كان يبحث عنها مثلما كانت تبحث عنه



طوال الوقت ، قالت العصفورة للأستاذ :

- إننى هى العصفورة الخضراء الترجمانة أيها العالم العبقرى ، وقد ظللت أناديك ولا تسمعنى ، لقد أرسلنى هو البك لأنه مصاب فى ساقه ويحتاج إلى العلاج والرعاية .

إندهش الأستاذ العالم ، وبقدر ما أحس بالفرح ، بقدر ما شعر بالأسف لاصابة العصفور فسألها بسرعة :

- هل إصابته خطيرة ؟ ، هل يمكن أن أذهب اليه ، هل هو بعيد جداً عن هذه البلاد ؟

أجابت العصفورة :

- إصابته ليست خطيرة ، لكنها قد تؤثر على قدرته على الطيران بنفس السرعة ، ساقه اليمنى مكسورة .. و ...

كاد الأستاذ يقاطعها فتوقفت هى عن الكلام ، نظرت الى الساعة وقالت وهى تحرك جناحيها :

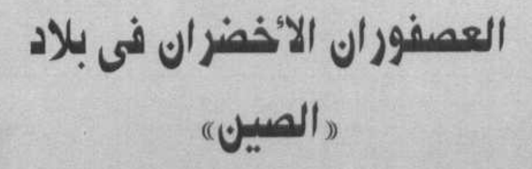
- لابد أن أعود اليه الآن .



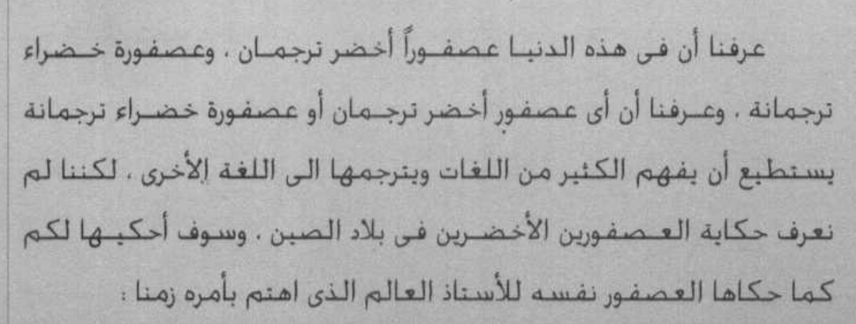


كذلك قالت العصفورة قبل أن تطير ، وعندما طارت ظل العالم ينظر نحوها حتى اختفت بين السحاب البعيد ، وشعر العالم أنه سوف ينتظر من جديد .. لكنه كان قد أطمأن أكثر بسبب أن العصفور الأخضر ما زال يذكره ، وبسبب أنه عثر على العصفورة الخضراء ، وإن كان يشعر بالخوف على العصفور الذى لم يعرف فى أى مكان يعيش ، وكيف أنه لا يستطيع أن يساعده بأية وسيلة رغم رغبته الشديدة فى ذلك ، وكان على الأستاذ العالم أن ينتظر ، وما أصعب الانتظار على العلماء اذا كان الأمر يتعلق بمجرد انتظار لحدوث معجزة .





العصفوران الأخضران فى بلاد «الصين»



عرفنا أن فى هذه الدنيا عصفوراً أخضر ترجمان ، وعصفورة خضراء ترجمانة ، وعرفنا أن أى عصفور أخضر ترجمان أو عصفورة خضراء ترجمانة يستطيع أن يفهم الكثير من اللغات ويترجمها الى اللغة الأخرى ، لكننا لم نعرف حكاية العصفورين الأخضرين فى بلاد الصين ، وسوف أحكيها لكم كما حكاها العصفور نفسه للأستاذ العالم الذى اهتم بأمره زمنا :

- يحكى أنه كانت هناك بلاد فسيحة إسمها بلاد الصين ، وبلاد الصين هى الوطن لكل صينى ، حتى أولئك الذين تركوا الصين وعاشوا فى بلاد أخرى ، هم فى نظر كل الناس فى هذه الدنيا صينيون ، واذا سألتنى عن السبب قلت لك على الفور أن لأهل الصين نفس العيون الضيقة السوداء ونفس الوجوه دقيقة الملامح والشعر الناعم الأسود ، باختصار أهالى الصين يحتفظون بعاداتهم القديمة وأفكارهم المفيدة ، وهم أيضا والحق يقال مؤدبون وأقوياء فى نفس الوقت ، ولأهالى الصين لغة لا يتكلمها



غيرهم ، ولا يكتبها غيرهم ، ويقول أحد الحكماء أن لهذه اللغة علاقة بالعادات والصفات التى تخصهم وربما كان لها أيضا علاقة بشكلهم المميز والذى يصعب على الإنسان التفرقة بين الواحد منهم والآخر بسهولة ، وبسبب أن للصين سوراً عظيماً بناه ملوكهم القدامى ليحرسوا حدودهم ، فإنه يمكن القول إن أهل الصين احتفظوا بحدودهم كما احتفظوا بلغتهم وملامحهم وحضارتهم وأفكارهم فى معظم الأزمان . لكنه لا ح لنا أن نعتقد أن العصافير الخضراء الترجمانة لم تنشغل بتلك اللغة التى يتكلمها ويكتبها أهالى الصين ، وأنت إذا شئت أن تتعلم لغة شعب فلابد أن تقترب منه وتتعامل معه وتتحدث إليه ، تسمع وتتعلم وتقرأ فى الكتب أيضاً ، والعصافير الخضراء الترجمانة تعرف كل ذلك وأكثر ، وتعرف أيضاً أنه يلزم أن تعرف الكثير عن اللغة الصينية . يقولون إن العصافير الخضراء ذهبت واندهشت عندما رأت سور الصين العظيم المبنى عند حدود البلاد الشمالية ، أما فى المناطق الجنوبية فليس هناك سور ، لأن هناك بحراً محيطاً يحمى أكثر مما يفعل السور ،والذى يقال إنه واحد من عجائب الدنيا السبع ، تعرف العصافير الخضراء أن أهالى الصين كثار كثار ، وتعرف أنهم في حاجة إلى كل حبة قمح أو أرز أو شعير تنبت فى أراضيهم ، لكن العصافير الخضراء ليست كثيرة العدد على كل حال ، كان تعدادها فى ذلك الزمان لا يزيد عن مائة عصفور وعصفورة ، صحيح أن أعمارها تطول وتطول ، لكنها لا تتكاثر بسهولة مثل بقية العصافير التى



نعرف منها مئات الأنواع، والتى يبلغ تعدادها بالملايين والملايين . وبسبب تلك الزيادة نفسها فإن بعض الشعوب الفقيرة لا ترحب بوجود العصافير فى بلادها ، وليس فى ذلك أى نوع من البخل أو القسوة ، ذلك أن الإنسان يهتم أولاً بغذائه وغذاء أولاده ، واذا وجد أن طعامه سوف يتعرض للالتهام بواسطة أى حيوان أو طائر صغير حتى ولو كان عصفوراً ، فإن هذا الإنسان سوف يحاول أن يحمى نفسه من تلك الأخطار ، وهذا هو ما حدث بالضبط ، ورآه العصفور الأخضر الترجمان فى بلاد الصين .

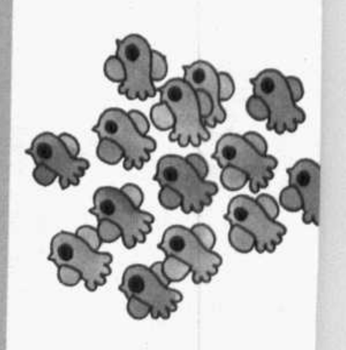
قال عالم من علماء الطيور من أهل الصين لوزير التموين الصينى :

- أكثر العصافير لا يطير أكثر من بضع دقائق ، قلوب العصافير رقيقة ولا تحتمل الطيران خمس دقائق متواصلة .

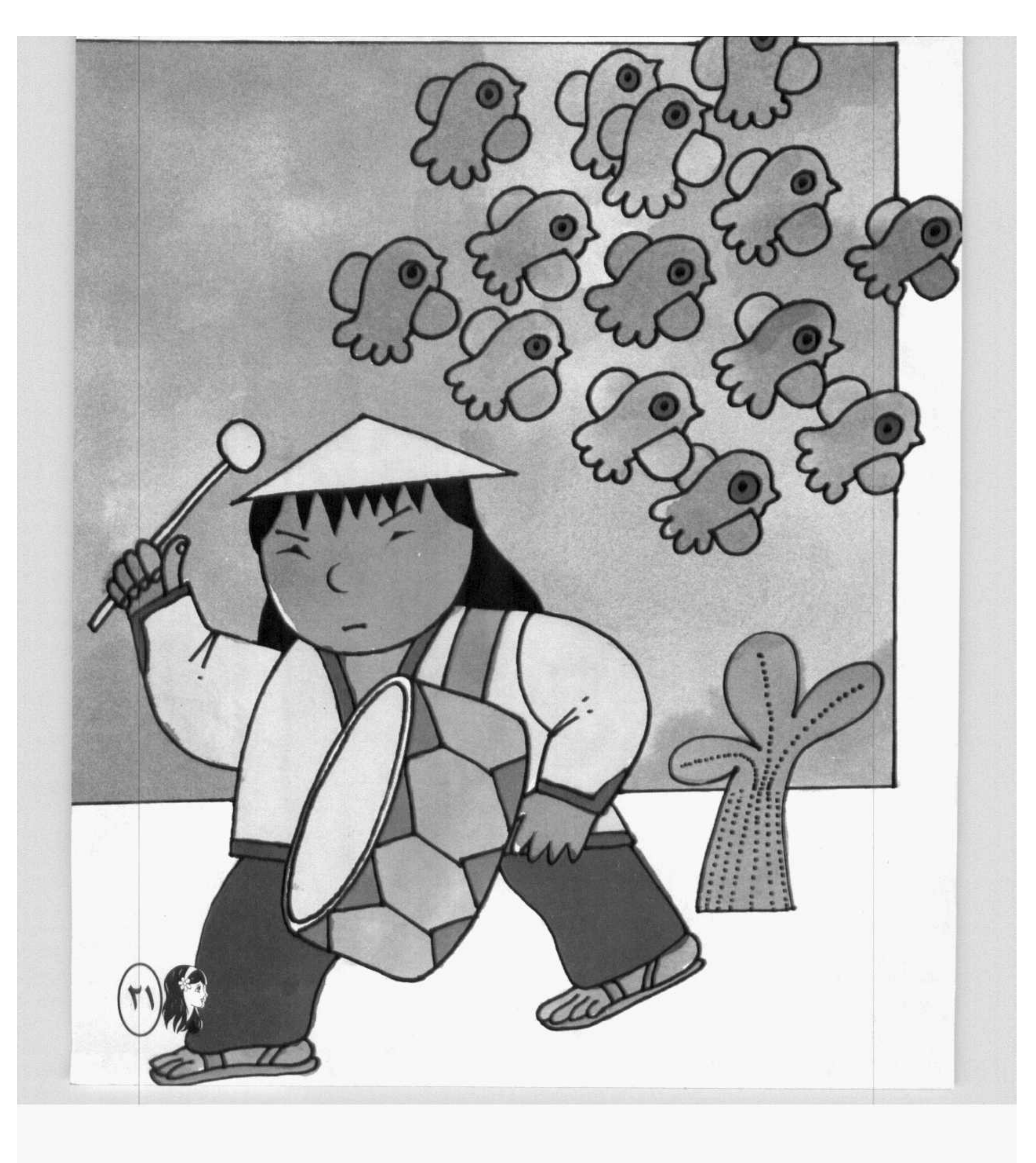
كان العالم الصينى محقاً فى كلامه ، لكننا لا نريد أن ننسى أن العصافير الخضراء الترجمانة تستطيع أن تطير لمدة تصل إلى سبعة أيام بلياليها ، وبسبب ذلك قالت العصافير الخضراء للعصافير الأخرى من جميع الأنواع :

- لا يحق لكم البقاء فى بلاد الصين ، أهل الصين فقراء وليست عندهم حبوب زائدة لحوصلاتكم وتعدادكم بالملايين ، أتركوا أرض الصين واذهبوا الى الغابات أو البلاد كثيرة الحبوب .

لكن العصافير من كل الأنواع لم تصدق تلك الحكاية ، لم تصدق







أكثر فكرة أن العصافير الخضراء استطاعت أن تتعلم أسرار اللغة الصينية كما تقول ، وحزنت العصافير الخضراء وقررت أن تهاجر من بلاد الصين إلى أنحاء أخرى من أركان الدنيا ، ويبدو أنهم تركوا العصفور الأخضر والعصفورة الخضراء الترجمانة لإكمال مهمتهما فى تعلم المزيد من كلمات اللغة الصينية ، ويبدو أن ذلك كان من حسن حظنا ، فلولا وجودهما فى بلاد الصين ما عرفنا شيئاً عن هذه الحكاية ، وما عرفنا ما حدث بعد ذلك فى بلاد الصين التى فكرت فى طرد العصافير من أراضيها لأسباب ليس من بينها البخل أو الرغبة فى إيذاء الطيور ، كما قلت لكم قبل ذلك ، وهو ما فهمته كل العصافير الخضراء وطارت لتوفر الحبوب لأهل البلاد .

قالت اذاعة بلاد الصين لكل سكان أرض الصين :

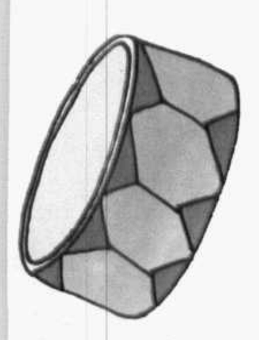
- العصافير خوَّافة ، تفزع وتطير إذا سمعت دقات أو خبطات ، جهزوا أدوات الدق والخبط والطبل ، واستعدوا لحرب الدقائق الخمس مع كل العصافير فى كل بلاد الصين ، سوف نحرر بلادنا من كل العصافير الظالمة .



سمع العصفور الأخضر الترجمان إذاعة بلاد الصين وحذر كل أنواع العصافير التى قابلها ، صدقته عصافير وكذبته عصافير ، فرّت عصافير إلى البلاد المجاورة والغابات ، وعاندت عصافير ، وأكثر من تبقى كان من سلالة العصفور الظالم ، هناك سلالة من العصافير الظالمة تعيش ولا تراعى



مشاكل الناس ، تلتهم الحبوب وتهرب ، ثم تعود وتلتهم الحبوب وتهرب ، وتعتمد هذه العصافير الظالمة على قدرتها على القفز والطيران بسرعة ، وتعتمد أيضاً على أحجامها الصغيرة بالنسبة للإنسان ، وعلى وصايا العقلاء والحكماء من بنى الإنسان التى تدعو إلى الرحمة والعطف على الضعفاء ، لكن العصفور الظالم فى نهاية الأمر ظالم ، وأى ظالم يستحق من الإنسان أن يمنعه من الاستمرار فى الظلم ، وقد حدث هذا فى بلاد الصين ، دقت الساعة المتفق عليها ونزلت العصى من كل الأشكال والألوان على أدوات الطبل والخبط والدق ، خمس دقائق أو تزيد وكل بلاد الصين تدق وكل الطيور تفر أو تصاب بالإغماء ، كان العصفور الأخضر الترجمان هناك ، وكانت هناك أيضاً العصفورة الخضراء ، وربما بسبب ذلك تاه العصفور الأخضر وتاهت العصفورة الخضراء كل منهما عن الآخر ، لكن شعب الصين المؤدب حصل على استقلال بلاده من كل عصفور ظالم ، وحصل أيضا على حبوب أرضه دون اعتداء أو سرقة أو نهب ، وأصبح من حق كل إنسان فى بلاد الصين أن يحصل على الغذاء اللازم .



كانت تلك هى الحكاية التى رواها لنا العصفور عن بلاد الصين والناس فى بلاد الصين ، ولا شك أن لعالم الطيور الصينى فضل الاكتشاف ، يقولون إن اسمه مكتوب هناك باللغة الصينية طبعاً ، وإنهم هناك يذكرونه كلما شبع الواحد منهم ، أو تذكر ذلك الزمان القديم ، ويؤكد العصفور الأخضر الترجمان أنه من يومها لم يشعر بالجوع طفل أو رجل أو



امرأة أو شــاب من أهل الصين ، ونحن لا نملك دليـلاً علـى عكس ذلك ، لكننا نملك حكاية أخرى من حكايات العصفور الأخضر الترجمان وسوف نحدثكم عنها، وهــى حكاية عن شعب آخر نـشيط ومؤدب ، ويقــال أنه لا يوجد فـيه فـقيـر واحد أو مـتـعطل واحد عن الـعمل ، ولابد أنكم عـرفـتم أن حكايتنا التـالية هى عن مـغامـرة العـصفـور الأخضـر الترجـمان فى بلاد اليـابان ، أو العـصفوران الأخضران المترجمان فى بلاد اليابان .





العصفوران الأخضران في بلاد اليابان

طارت العصفورة الخضراء الترجمانة فى اتجاه الشرق ، عبرت بحراً كبيراً ، ونزلت لترتاح فى جزيرة ، كانت ووجوه الناس تشبه وجوه أهالى الصين فاندهشت ، زادت دهشتها عندما سمعت كلاماً آخر ولغة أخرى ، كان الناس يتحركون فى كل اتجاه بنشاط وخفة ، ولولا أن العصفورة الخضراء كانت تبحث عن العصفور الأخضر لفكرت فى اكتشاف تلك اللغة ومعرفة أسرارها ، لكنها قالت لنفسها :

- سوف أبحث عن العصفور الأخضر وأعود معه لنتعلم لغة هذه البلاد ، لقد قال لى مرة أنه يعرف شيئاً عنها .

قالت العصفورة ذلك ، وفردت جناحيها ثم طارت ، ومرة أخرى حطّت على جزيرة ، سمعت نفس اللغة ونفس الكلمات ، رأت نفس الوجوه ، وكل



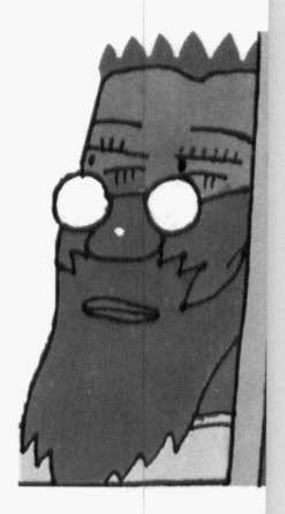
ما عرفته بعض الأسماء ، وكل ما قرأته بعض الحروف المرسومة دون أن تتمكن من فهم معانيها قالت لنفسها مرة أخرى :

- لابد أن أتعلم لغة هذه البلاد التى حدثنى عنها العصفور .

وطارت فى اتجاه الجنوب ، حطَّت على جزيرة أخرى ، ثم طارت وحطت ، عشرات الجزائر المتقاربة والمتباعدة ، الكبيرة والصغيرة ، والناس يتشابهون فى حركتهم السريعة النشطة فى خفة ، وكل واحد مشغول بشىء ، بعمل ، حتى الأطفال الصغار ، يكتبون ويرسمون ويجمعون الزهور أو يصنعون اللعب الجميلة ، يأكلون الأرز المطبوخ بالعصى الرفيعة فلا تسقط منهم حبة ، كانت العصفورة جائعة بالفعل وسألت نفسها :

- لا يبدو عليهم أنهم فقراء أو بخلاء .. إنهم أذكياء ، ويحبون النظام ويكرهون الإسراف والتبذير .

طارت العصفورة ، وحطت مرة أخرى على جزيرة صغيرة ، كان فى الجزيرة حقل أرز يحرسه طفل جميل ، ولأول مرة فى حياتها فكرت فى الحصول على حبات الأرز دون إذن ، لكنها لم تفعل ، ذلك أن الطفل الجميل رآها ، ابتسم لها ، مد يده الى جراب وأخرج حفنة من أرز نقى ووضعها فى





طبق ، ثم ابتعد ، شكرته العصفورة باللغة الصينية التى كانت قد تعلمتها لكن الطفل لم يفهم ، هز رأسه وأشار الي حبات الأرز يدعوها لتناول الطعام ، وفعلت العصفورة حتى شبعت ، ثم طارت فى اتجاه الشمال .

وعلى عكس ما كنا نظن ، كان العصفور الأخضر فى نفس البلاد ، لكنه لم يكن حراً مثل العصفورة ، كان محبوساً فى قفص كبير ، فيه الطعام والشراب ، وفيه جهاز يستطيع منه رؤية العصفورة ، جهاز رآه ولا يدرى أين أو متى ، لكنه رآه ، وكان يعرف أنه وإن كان يراها فإنها لا تراه أو تسمع صوته ، وقد اطمأن العصفور على كل حال بسبب ذلك وإن كان يشعر بالقلق لأنه أسير ، يعرف العصفور أن الإنسان يحرس حدود بلاده ، بل إنه يعرف أنه من الضرورى أن يحرس الإنسان حدود بلاده ، لكنه لم يسمع عن شعب يحرس حدوده من العصافير ، وقد حاول أن يعترض على الأسر دون سبب مفهوم ،.لكن الجنود لم ترد على اعتراضاته ، اكتفوا بأن قالوا له إنها الأوامر وقد صدرت اليهم لأسره ، وفى الليل جاء رجل مهذب ، نظر الى العصفور وقال بأدب جم :

- لقد دخلت بلادنا بدون إذن ، ولابد من احتجازك فترة حتى نتأكد من

حسن نواياك .

ودافع العصفور عن نفسه بحماس :

- إننى أرفض مجرد الشك فى أخلاقى ، إننى عصفور أخضر ترجمان ، وأنا أعرف كما لابد أنكم تعرفون أننى من سلالة شريفة ونادرة ، وأنا احتفظ لنفسى بالحق في الاحتجاج على تقييد حريتى دون اتهام واضح .

ابتسم الرجل فى وداعة وأدب ثم قال :

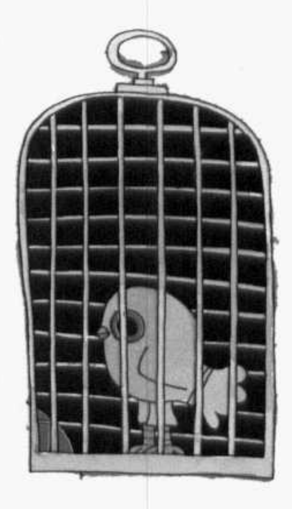
- نحن نعرف كل شىء عنك أيها العصفور الأخضر ، نعرف أنك مجرد عصفور أخضر ترجمان تعشق الطيران والتحدث بكل اللغات . لكنها إجراءات الأمن ، ثم انك لست سجيناً بأى حال ، أنت رهن الاحتجاز .

قال العصفور بغضب :

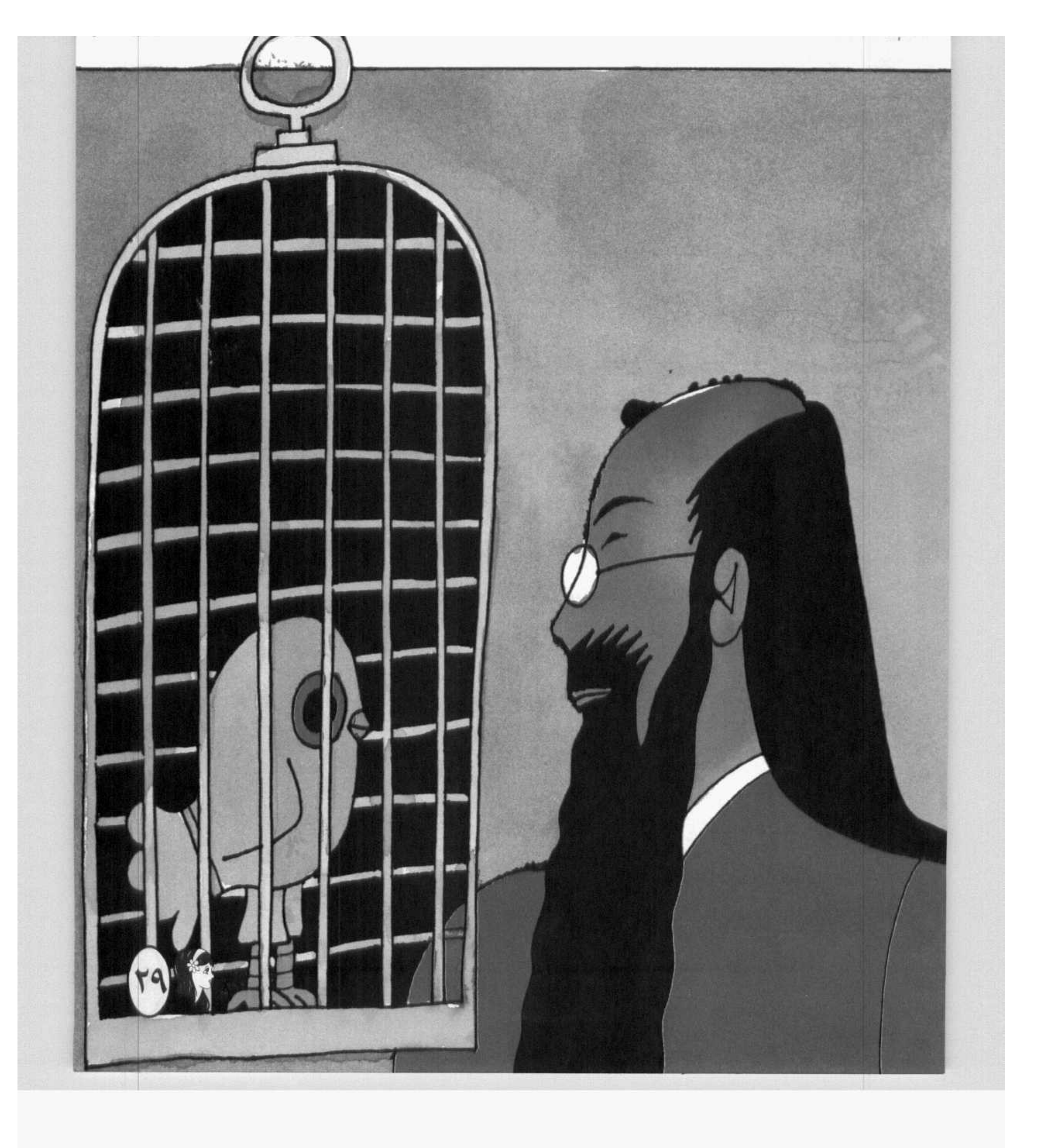
- الاحتجاز والحبس والسجن والاعتقال والتوقيف ، كلها أسماء لمعنى واحد وهو الحرمان من الحرية .

ابتسم الرجل مرة أخرى فى تهذيب قبل أن يرد ..

- أنت محق في كل ما تقول .. ولكن .. وراء ما جرى لك حكاية . لو







سمعتها فسوف تفهم الأسباب .

– وما هى تلك الحكاية ، أننى مستعد للسماع ،لكن بشرط أن تفتح لى باب القفص لأشعر بحريتى .

كان العصفور الأخضر يعرف حقوقه جيداً ، ويعرف أنه ليس من حق أى انسان أن يحتجزه فى قفص لأى سبب من الأسباب ، وكان الرجل اليابانى يعرف – وهو بالمناسبة عالم كبير من علماء الطيور فى بلاد اليابان – أن العصفور الأخضر لا يستحق الحبس بقدر ما يستحق الترحيب ، ولذلك قام وفتح باب القفص ، ولم يكن العصفور فى حاجة إلى الفرار أو الطيران ، كانت هناك حكاية ، وكان على استعداد لسماعها، فقال لعالم الطيور اليابانى :



– والآن حدثنى عن حكايتكم مع الطيور .

هز العالم رأسه موافقاً على توضيح الأمر وقال :

– نحن شعب طيب ،و ولا نحب العنف أبداً ، ونحن لا ننسى ما حدث مرة ، كان ذلك منذ سنوات وسنوات تزيد عن عمرى نفسه ، عندما جاءت أساطيل وجيوش وحاربت جيوشنا وأساطيلنا ، كنا على وشك الانتصار كما



يعرف الجميع . لكن جاءت الى سماء بلادنا طائرة وألقت على واحدة من مدننا شيئاً ، وذهبت إلى مدينة أخرى وألقت شيئاً آخر ، الحرب أيها العصفور الطيب شىء بشع و الحرب التى تقوم بين البشر شىء قاس إلى أبعد حد ، لكن ما رأيناه فى بلادنا لا يمكن وصفه بالكلمات ، كانت الانفجارات تتوالى ، انفجار وراءه انفجار ، وكان الدمار أكثر من قدرتنا على الوصف أو الاحتمال ، من يومها ونحن نحرس حدود بلادنا ولا نسمح لأى إنسان بالاقتراب إلاّ وجواز سفره مختوم بخاتم حراس الحدود ، ولابد أنك سوف تلتمس لنا الأعذار ، نحن نعرف قدرك ونأسف على سوء الفهم الذى حدث .

شعر العصفور الأخضر بالخجل لأنه دافع عن الخطأ الذي ارتكبه بحماس زائد ، ونسى فى نفس الوقت ما كان قد عرفه عن الحرب التى سببت كل هذا الألم . وقف الرجل وقال للعصفور :

- لكننا لم نحزن كثيراً كما تظن . لقد آمنا بالحياة ، وبأنه من الممكن اصلاح كل شىء . لقد أعدنا بناء بلادنا فى زمن قصير ، فكرنا أنه لا شىء أفضل من العمل . علمنا أطفالنا كل شىء ، وضعنا أشياء وأشياء ، وقدمنا لكل أركان الدنيا بضائع من انتاجنا ، زادت ثروتنا وزادت وزادت ، أصبحنا



أغنياء وأصبح النشاط والعمل من عاداتنا التى لا غنى عنها ، الشعوب لا تموت يا صاحبى ، الشعوب تبقى ، ولكل تجربة فى حياة الإنسان فائدتها ، ولذلك ترانا نبتسم ولا نغضب مهما كانت الأسباب ، وكل شىء فى هذه الدنيا يحتاج إلى العقل ، ونحن نستخدم عقولنا بشكل أفضل رغم ما كان فى الماضى ، ولأننا نحب الحياة فقد أعطتنا الحياة كل ما نريد وأكثر ، ترى هل تحكى حكايتنا لتلك البلاد التى تدخلها أم أنك مازلت غاضباً لأننا احتجزناك ؟

وسكت العصفور ، لم يكن بقادر على الكلام ، كانت في عينيه دمعة إعجاب واحترام للشعب الذى زاره وتعلم منه أن الحياة سوف تستمر .

